النقد والتأليف

١ - مرجريت أوغادة الكميليا

نقلها عن الفرنسوية الدكتور احمد زكى ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر مطبوعة فى مطبعة الاعتماد طبعة ثانية — ١٩٢٩ — فى ٢٧٨ صفحة من القطع الكبير ومصدرة بمقدمة من قلم الدكتور منصور فهمى

تنظر فى الصفحة الأولى فتهيجك الذكرى الى حوادث قرأتها وأنت صغير إن كنت بلغت الاربعين مثلى . أما اذا كنت لاتزال فتى فى مقتبل العمر، فتتوقع انك سوف تقرأ شيئاً يلذ لك أن تقرأه. لان رواية تطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر، بعد ان يقرها أعضاء اللجنة وهم من تعرف من الاساتذة والادباء ، لابد من أن يكون فيها من المتعة الادبية مايرضيك .

غير انك لا تقلب هذه الصفحة وتمر عينك على « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كلمة « المقدمة » الا وتقع على هذا السطر الطويل المكتوب بحروف الرقعة الضخام واليك هو :

« بقلم الفيلسوف الكاتب الدكتور منصور فهمى »

فلا تلبث أن تقول فى نفسك « سبحان واهب الالقاب » !!! أو « سبحان فرضى العالم » .

وقديماً قرأت مقالا للمرحوم المنفلوطى تحت عنوان « خداع العناوين » محصله أن للعناوين خداعا وان لها أثراً نفسياً شديداً . ولقد أنحى المرحوم المنفلوطى على من يتخذون خداع العناوين ذريعة لرواج البضاعة . وفكرت طويلا فى هذا السطر ثم فى ذلك العنوان ثم قلت « خداع العناوين » فى الماضى انقلب فى هذا الزمان فصار « خداع الالقاب » . ثم قلت ان هذا على كل حال لا يليق بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولعلها سقطة ليس للجنة فيها من يد . فقد جرت العادة فى هذه الأيام أن

يرسل صاحب الكتاب الى الصحيفة او المجلة كتابه مصحوباً بتقريظ ينشر من غير أن يراه محرر المجلة أو رئيس تحرير الجريدة : وربما تكون العدوى قد سرت الى المقدمات . فترسل المقدمة مع اسم صاحبها وألقابه ، ويصبح نزع لقب من الالقاب جريمة لا تغتفر .

ثم تنتقل الى الرواية ذاتها فتقع على اسلوب من السهل الممتنع قد ملىء جمالا وزاده انتقاء الالفاظ روعة ، فكان فى أول الرواية كما هو فى آخرها صورة صحيحة لمقدرة الكاتب وتضلعه من اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها . فاذا أضفت الى هذا الامانة فى النقل والمحافظة على المعانى الاصلية التى ارادها « دوماس » ، وعرفت فوق ذلك ان الكاتب كثيراً ما ضحى باللفظ فى سبيل المعنى ، وذلك قليل فى الرواية لحسن الحظ ، كما أنه دليل ساطع على مقدرة المترجم ، لم يكن لديك بعد هذا ما تقول فى نقد هذه الترجمة الفذة التى جاءت ، كما قال حافظ ابراهيم ، كالحسناء وخيالها فى المرآة » .

اما إذا أردت على صحة مذهبي فى اسلوب الرواية وترجمتها من دليل فاقرأ القطعة الآتية ! وهى من كلام مرجريت لدوفال

— « انه الحق . انا معاشر المخلوقات الموكلات الى الاقدار ، لنا من الاهواء أعاجيب ومن الحب صنوف لا يتصورها انسان . طوراً نهب أنفسنا لأمر وتارة نهبها لغيره . ومن الناس من يفلس نفسه ولا ينال منا قليل شيء ، ومن الناس من ينالنا أجمع بباقة زهر . قلوبنا بها أهواء هى وحدها معاذيرها . وقسماً لقد وهبتك نفسى أسرع مما وهبتها لأحد غيرك . ولم ؟ لانك وجدتني أبصق الدم فأخذت بيدى لانك بكيتنى ، لانك المخلوق الوحيد الذى رحمنى . لا بأس عليك من السخافة التى سأذكر . كان لى فى زمانى جرو كان يلحظني لحظ الحزين عند ما أسعل فهذا من الخلق أجمع من أخال أنى أحببته . ولما مات بكيته فوق ما بكيت أمى . لست انكر انه عاش معى اثنتى عشرة سنة من حياته . والآن قد أحببتك سريعاً قدر ما أحببت كلبى هذا — ألا لو عرف الناس ما وراء دمعة تسيل ، لكانوا أسرع فى الدخول الى قلوبنا مما هم وكنا أبطأ فى إخرابهم مما نحن » . . . .

واستطردت مرجريت

ـــ «وبعد فقد كنت الوحيد الذى حسبته يستطيع فهم آرائى وأقوالى سريعاً اذا أنا فكرت صريحا أو تكلمت بلا كلفة . على حين أن من يلتفون حول فتاة مثلى لا يفوتهم ان يمعنوا فى كل كلمة تفوه بها و يستنتجوا اعقد الامور من أتفه أقوالها . نحن بالطبع ليس لنا أصدقاء ، بل أحباب انانيون ينفقون اموالهم علينا كما يدعون ، ولكن على اهوائهم . وهم لا يرضيهم منا الا ان نظهر بابتهاج إن كانوا مبتهجين ، او بالصحة والشهية ان كان العشاء معنا ، والا نظهر بالشك مثلهم فى كل قضية وحقيقة من حقائق الكون وقضاياه . ونحن غير مأذون لنا فى أن يكون لنا عاطفة او بقية من قلب . ومن اذن لنفسه منا بشىء من ذلك فسرعان ما تضيع الثقة فيه ويطارد بالصياح خلفه والنباح . لم نعد بعد ملكا لانفسنا . لسنا من الاحياء ، ولكنا من الاشياء . اذا تولى الناس حب ذواتهم و ملكتهم سورة شهواتهم ، وضعونا فى المكان الاسمى و الذروة العليا ، حتى إذا جاءت ساعة التوقير والاحترام . فلنا المكان الاسفل والمرتبة الدنيا » الخ.

ولعلى أكون قد اخترت على هواى أيها القارىء ، فارجع إلى الاصل لترضى نزعتك بما يلائم هواك ، وأنا الكفيل بأنك سوف تقع على بغيتك ، و ان بلغت بك غرائب النزعات مبالغها القصوى.

٢ ـ سفر التكوين

بحث نظرى فلسفى تشريحى لبيان من هو كاتب هذا السفر ؟ الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته . تأليف الاستاذ جبر ضومط ب. ع. م. ع. بالجامعة الاميركانية فى بيروت . أخرجته مطابع قوزما فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير ، و العناية ظاهرة فيه من كل ناحية .

يحاول الاستاذ الكبير جبر ضومط أن يثبت بهذا الكتيب ، على حد قوله فى اهدائه الينا ، ان كاتب سفر التكوين هو يوسف الصديق ابن عم موسى و ابن يعقوب ـــ اسرائيل ـــ عليهم السلام . على أنه إذا صح ما يذهب اليه النقاد من ان ذكر وفاة موسى ووصف دفنه من أسفار التوراة دليل قاطع على أن موسى لم يكتب هذه

الاسفار، صح لدينا أيضا أن ذكر وفاة يوسف فى آخر سفر التكوين دليل على أن السفر لم يكتبه يوسف .

جاء فى آخر سفر التكوين اصحاح ٥٠ : ٢٢ إلى ٢٦ ما يلى :

«وسكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه . وعاش يوسف مائة وعشر سنين . ورأى الأفرايم أولاد الجيل الثالث . وأولاد ماكير بن منسى أيضا ولدوا على ركبتى يوسف. وقال يوسف لاخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض إلى الارض التى خلف لابرهيم واسحاق ويعقوب . واستحلف يوسف بني اسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا . ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين . فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر» . . . وهنا ينتهي سفر التكوين.

ولا جرم أن من أصعب الصعاب أن نحقق تاريخيا أو اخباريا على حد قول الاستاذ الكرملى — ما يختفي وراء مثل هذه النصوص الصريحة من الوقائع الصحيحة . فاذا كان كل ما فى سفر التكوين سياق واحد فى قصة ابراهيم وأولاد ابراهيم من أبناء العبرانيات لا من أبناء الاماء كما يذهب الاستاذ ضوء ليكون دليلا على ان اهتمام يوسف وجه الى جده الاكبر ابراهيم وأولاده الذين انحدر منهم يوسف. وان هذا دليل على أن يوسف كتب هذا السفر ؛ فلماذا يقتصر الدليل على يوسف ولا يتعدى إلى موسى ، ما دام لموسى فى ابراهيم جدهما الأكبر من الحق بقدر ما لموسى ، وما دام أن موسى ويوسف نبيان ، أو «بطريقان» على حد قول الاستاذ ، وأن ما يشير اليه أحدهما فى سفر التكوين جائز أن يكون فخراً للاخير كما هو فخر للاول ، وان الاحتفاظ بسيرة ابراهيم وأولاده من العبرانيات كاملة ظاهرة جلية، تفيد يوسف كما تفيد موسى؟

على انى والحق يقال قد أعجبت على الرغم من اكبابى على درس سفر التكوين على الاخص وبقية اسفار التوراة على وجه العموم ، بكثير من الملاحظات التى أدلى بها الاستاذ ، والبراهين التى أيد بها مذهبه . فانها ملاحظات وبراهين قد فاتنى الكثير منها ، وكان كتاب الاستاذ أول حافز لى على مراجعتى لها واعادة درسها فى ضوء أقواله الجديدة .

هذا ما أرى فى هذا الكتيب الصغير . غير أنه لا يجدر بى أن أترك الكلام فيه من غير أن أشير إلى نقد للكتاب ظهر فى مجلة « لغة العرب » للاستاذ الكرملى ببغداد وهى مجلة لها فى نفسى كبير الاحترام . فبعد أن شرح مرمى الكاتب وبعد أن وجه اليه بعض الانتقادات اللغوية والنحوية قال :

« وهناك عدة أدلة تنقض ما جاء فى هذا الكتاب لا محل لذكرها هنا إذ ليس هذا البحث من موضوعات مجلتنا ، فنطلب من حضرة الاستاذ المعذرة »

ونحن نتساءل — إذا لم يكن هذا موضع سرد هذه الادلة التى تنقض ما جاء فى الكتاب . فأين موضعها ؟

ثم جاء فى ذلك النقد بعد ذلك ما يلى :

« أما عبارة هذا التصنيف فركيكة . وما كنا نتصور أنها تصدر من قلم الصديق لكثرة ما فيها من الاوهام وقد لا يرتكبها الطلبة ، فكيف به وهو أستاذ الاساتذة »

والحقيقة أن هذه الجمل لا يحسن أن تصدر عن مجلة كلغة العرب فى حق زميل لصاحبها الاستاذ ضومط . وكان من الواجب أن يراعى الكاتب ظروف الاستاذ وسنه وطول جهاده المبرور فى سبيل اللغة وأهل اللغة . على أنه مما يسلينى أن للغة العرب فى رد الالفاظ الى أصولها المنحوتة عنها أوهام لو أردنا عدها لفاتت الحصر .

٣ ـ ابراهيم باشا فى سوريا

هو تاريخ بدء النهضة الحديثة فى الشرق الادنى وأحوال سوريا فى عهد محمد على وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول أوربا فى البلاد العثمانية . تأليف الاستاذ سليمان أبو عز الدين طبع ببيروت فى المطبعة العلمية ليوسف صادر — ١٩٢٩ — فى ٣٤٤ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق .

يمتاز هذا الكتاب بطلاوة أسلوبه ، حتى انك لا تستطيع أن تميزه عن اخص الاساليب المصرية البسيطة الجميلة ، لو لم يقع نظرك على أنه صادر عن بيروت وعن أديب سورى بحت ، أمعن فى البحث واستقصى الموضوع من كثير من أطرافه الهامة

التى تخرج الكتاب سفراً تاريخيا طريفا فى الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على وما ترتب عليه من النتائج الاجتماعية والسياسية

وأخص ما يمتاز به هذا الكتاب أنه أظهر بجلاء ووضوح النتائج الاجتماعية الاصلاحية التى يتحتم على شعب غاز أن يأخذ بأسبابها اذا ما أزمع غزو أمة مجاورة له . وهذه ميزة قلما تجدها فى كتاب من الكتب التى اختصت بالكلام فى تاريخ الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على وابنه ابراهيم ، فلقد أوضح الكاتب بمهارة فائقة ان الفتح السورى كما كان نصراً حربيا كان خذلانا سياسيا لمصر فى سوريا . و بمثل هذه المهارة اظهر الكاتب ما جنت مصر من ضروب الاصلاح الاجتماعى لتكون على الاقل قادرة على القبض على زمام الحالة فى سوريا — ، التى كانت تجعل مهمة الفاتح والحاكم محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة مراسهم ووعورة المسالك وانتشار النظام الاقطاعى ولكثرة المتغلبين واصحاب الامتيازات المحلية . والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عفواً بل نشأت فى أكثر الاحوال عن أسباب وضرورات كانت مبررة لوجودها عند نشوئها ، كقيام أصحابها بنصرة حزب أو مبدإ أو عجز الدولة عن حماية أرواحهم وأموالهم واضطرارهم للذود عن حياتهم بسلاحهم . وعلى كل حال فان من تمتع بحق ما ردحا من الدهر لا يهون عليه التنازل عنه بدون عوض مهما كان منشؤه ولا يصبر على سلبه منه فوراً و بدون مقاومة . كما أن الحاكم القادر لا يسمح بقيام مملكة فى وسط مملكة . وثبات الملك وانصاف المحكومين يستوجبان نفاذ سلطة الحاكم ومساواة الرعايا فى الغنم لحماية الارواح والحقوق ، وفى الغرم كالتجنيد ودفع الضرائب . ولا سبيل الى بلوغ هذه الغايات إلا اذا كان شعار الحكومة الحكمة والعدل واهتمامها موجه الى اسعاد الرعية و توطيد دعائم العمران والأمن و كانت لديها قوة يرهبها ويحترمها المحكومون ، — هذا مثال من الكتاب وهو كاف عندى لتعريف القراء بماهيته .

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة بين بها الغرض من الكتاب والاسلوب الذى اتبع فى تأليفه ، وكذلك أثبت فيه أسماء كل الكتب التى رجع اليها فى توليفه . كما أتم فائدته بكثير من الخرائط والرسوم التاريخية وصور المشهورين

فى تلك الحوادث ، والكتاب ككل تأليف ينشد الحق و الحقيقة يختتم بعبارة ملؤها العظة التاريخية إذ يظهر لك كيف غرم الشرق وغنم الغرب

٤ــعقد الايجار

هذا الكتاب حلقة من شرح القانون المدنى فى العقود وهو خاص بايجار الأشياء تأليف الأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى دكتور فى العلوم القانونية والاقتصاديةوالسياسيةودبلوميه من معهد العلوم الدولية بجامعة باريس ومدرس القانون المدنى بكلية الحقوق . نشرته لجنة التأليفوالترجمة والنشر ــ١٩٢٩ــ مطبوعاً طبعاًأنيقاً فى مطبعة دار الكتب على ورق جيد فبلغت صفحاته ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد تكونت لدينا بالفعل مكتبة قانونية حديثة نادرة المثال فى كل الأمم التي تنطبق بالضاد وهذا الأمر يكاد يكون الأساس الوحيد الذى يقوم عليه التقدم فى ناحية من أهم نواحى الاصلاح المدنى المنشود ، بل انه قاعدة من قواعد الحضارة التى نريد أن نقيمها فتكون مصرية بحتة فى ثوب حديث . ولقد ساعد على اظهار هذه التواليف فى هذا العصر أمران : أولهما علاقة مصر بالقانون الفرنسوى و بعلماء فرنسويين منذ سنين عديدة لا يقل مداها عن ثلاثة أجيال : وثانيهما مرونة فى اللغة العربية وسعت كل المصطلحات القانونية ، حتى لقدأخبرنى أحد المتضلعين من القانون الفرنسوى يوما انه يرىان اللغة العربية من أخصب اللغات فى المصطلحات القانونية وانها من أطوع اللغات على التعبير عن المعانى القانونية الدقيقة .

ونحن نكتفى هنا بنقل تصدير الكتاب وقد نشر تحت عنوان « كلمة افتتاحية » نثبتها بنصهالانهاخير وسيلة نعرف بها الكتاب للقراء مادمنا نتحاشى النقد فى موضوع لا علم لنا به . قال الكاتب :

« هذا كتاب فى الايجار أخرجته وأنا أول من يحس مواضع النقص فيه ، وقد سلخت فى تأليفه زهاء ثلاثة أعوام ، ولم يصح عزمى على اخراجه الا بعد ما قدرت انه يسد فراغا ، ايا كان مبلغ التوفيق فى وضعه ، فقد ظهرت كتب قيمة فى شرح

معظم اجزاء القانون المدنى المصرى ، ولم يكد يبقى الا الايجار بنوعيه : إيجار الاشياء وإيجار العمل . فتوليت فى هذا الكتاب شرح إيجار الاشياء ، مستبقياً مايسمى « بايجار العمل » الى مؤلف آخر وعندى لذلك سببان :

(أولهما) انى فضلت أن أخص بكتاب كل عقد من هذين العقدين ، حتى يتسع المجال لشىء من الاسهاب والتفصيل ومقارنة الشرائع ، وحتى لا يقتصر البحث على الوجهة العلمية ، بل يتناول الناحية العملية أيضاً هذه الناحية تلمستها فى قضاء المحاكم ، فافسحت للقضاء المصرى والقضاء الفرنسى من حواشى الكتاب ، ولم أتهيب فى ذلك ان ترتفع هـــذه الحواشى حتى تأكل من الصحيفة نصفها أو أكثر ، فأن القانون مادة حية غذاؤها التطبيق العملى ، ولو اقتصر الأمر فيه على المنطق المحض ، ولم يلامس الحاجات العملية ، لكان علماً نظرياً ، ولأخطأ التوفيق فيما خلق من أجله . وقد كان للقضاء المختلط فى هذا الكتاب نصيب أوفر من القضاء الأهلى . ولا أدرى ان كان هذا راجعاً لنقص فى المجموعات التي تنشر أحكام المحاكم الأهلية ، أو أن المحاكم المختلطة تعنى أكثر من زميلاتها بالتبسط فى ارجاع الأحكام إلى أصولها القانونية . وأكثرت من الحواشى من الأشارة إلى المراجع التى يحتاج اليها الباحث إذا أراد التعمق فى موضوع من الموضوعات . وكذلك سجلت فيها النصوص القانونية من أهلية ومختلطة وفرنسية وشرعية ، معتمداً من الشريعة الأسلامية على كتاب مرشد الحيران . »

(وثانيهما) هو أن الاتجاه العلمى الحديث لايجمع فى عنوان واحد بين إيجار الأشياء وعقد الاستصناع والعمل (إيجار العمل) لأسباب بينتها فى مقدمة هذا الكتاب ، فجاريت هذا الاتجاه الحديث ، وأفردت لكل عقد كتاباً قائماً بذاته » .

« وانى أرجو أن لاتكون عثراتى فى هذا الكتاب فوق ماقدرت ، وان أسد به من الفراغ القدر الذى أملت » .

ونحن ازاء هذا المجهود المشترك الكبير من جانب الاستاذ المؤلف ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، لا يسعنا الا أن نظهر اغتباطنا الشديد ببوادر هذه النهضة التى وضعت مصر فى موضع التاج من مفرق الامم الشرقية .

٥ ـ الخواطر العراب

فى النحو والاعراب

تأليف الاستاذ جبر ضومط م . ع أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الكلية السورية الانجيلية فى بيروت . والكتاب مهدى الى المرحوم جورج بوست م . ع . د . ط د . ج . س. د. ش . وهو مطبوع فى المطبعة الأدبية سنة ١٩٢٨ — طبعة ثالثة واقعاً فى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير مضبوط الشواهد و بعض العبارات ضبطاً حسناً وعلى ورق جيد .

ان شهرة الاستاذ ضومط غنية عن التعريف وخدماته الجليلة للغة العربية معروفة ذائع أمرها بين الناطقين بالضاد ولا تقتصر أبحاثه على قواعد اللغة ذاتها فان له فى فلسفة اللغة جولات واسعة، وآثار خالدة

هذا فى الاستاذ المؤلف . أما فى الكتاب نفسه ، فانا لا نستطيع ان نعرف الكتاب بأبين مما عرفه به الاستاذ نفسه فى كلمة ننقلها بحذافيرها اعترافاً بما للكتاب من قيمة وتعريفاً به على أبين صورة :

« النحو قسمان قسم مصطلحات او تسميات تضاف اليها احكام خاصة وقسم فهم وتمييز . وهذان القسمان لا ينفك احدهما عن صاحبه ولا بأس من ان نطلق على القسم الاول اسم النحو ،وعلى الثانى الاعراب وان كان علم النحو عند الاطلاق يشملهما معاً . »

« بناء على ما تقدم، فقد يراد بالنحو معرفة ما يراد بالاصطلاحات التى لا بد منها فى هذا العلم كمعرفة المعرب والمبنى والعامل والمعمول وعلامات الاعراب والبناء وماذا يلحق كل نوع منها من انواع الكلمة الثلاثة الى آخر ماهنالك فضلا عن معرفة ما يراد بتسميات خصوصية الاحوال اولاعتبارات خصوصية كالمبتدإ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به وفيه وله الخ وكالحال والتمييز والاستثناء والنعت والتوكيد والبدل الخ فان جميع هذه مما ذكرناه ومالم نذكره لابد لمتعلم النحو من معرفته وحفظه . »

« الا أن هذه المعرفة لوحدها قشور لا فائدة منها . ما المنفعة ايها الطالب العزيز من معرفتك حد العامل والمعمول غيباً وانت لا تميز بين الواحد منهما وصاحبه فى المركب؟ ام اية فائدة تستفيد من مجرد استظهارك غيباً ان المبتدأ قسمان والخبر اقسام وانت لا تميز المبتدأ من الخبر فى الجملة ؟ »

« ايها الاخ الاستاذ هب ان تلميذك حفظ عن ظهر قلبه (وينبغى ان يحفظ) ان المرفوعات هى المبتدا والخبر والفاعل ونائبه و. و . الخ والمنصوبات هي المفاعيل والاستثناء والحال والتمييز و . و . والمجرورات هى المجرورات بالحروف او بالاضافة على التفاصيل المذكورة فى المطولات النحوية . والمجزومات (والمنصوبات ايضا) هى الفعل المضارع على الشرائط الكثيرة المعروفة — هب حفظ كل هذه كما يحفظ — ابانا الذى فى السموات . او سورة الفاتحة — ولكنه لا يستطيع ان يميز ما اذا كان هذا المرفوع مبتدأ او خبرا ولا هذا المنصوب مفعولا به اوحالا ، ولا هذا المجرور مجروراً بالاضافة او بالتبعية فما الفائدة من هذا الحفظ ؟ »

« إن من لا يستطيع ان يميز ان هذه الكلمة مثلا تستحق الرفع فيرفعها غير شاك فى حكم وتلك تستحق النصب او الجر فينصبها او يجرها كذلك ، فاولى به أن لا يتعرض لدرس هذا العلم وكد قريحته به اصلا . والاستاذ الذى لا يتطلع الى اكثر من أن يملأ ذاكرة تلميذه بحدود المعرب والمبنى والمنصرف وغير المنصرف وباقسام المبتدإ والخبر الخ فاقل ما يقال فيه انه لم يؤد امانة العلم حقها . »

« إن علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير إشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وايما مصيبة على المعلم والمتعلم معاً اما إذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى إذا اقترن بالاعراب فهو من اجل العلوم التى تعلم فى المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوتى القياس والاستنتاج لا يفضله فى ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضل على الرياضيات والمنطق والفلسفة العقلية معاً »

« جرب نفسك وافتح كتاباً واقرأ وضع علامات الاعراب و البناء المقتضاة لكل كلمة تقرأها فانك تشعر من نفسك ان لا بد لك من ان تشغل أعلى قوالك العاقله اعنى قوتى الفهم والتمييز وقوتى القياس والاستنتاج . ثم مالم يكن فهمك صحيحاً وقياسك واستنتاجك كذلك

تفكل لفظة تلفظها تؤذن بجهلك وتنم بضعف فهمك وفقر تميزك فالفهم الفهم اذن ايها الطالب العزيز والتفهيم التفهيم ايها الاخ الاستاذ . »

« ان الخواطر العراب مراد بتأليفه الفهم اكثر مما هو مراد الحفظ وإليك اطلب ايها الاخ المعلم ان توجه التفاتك الى ان يفهم تلميذك مايقرؤه وافضل محك لذلك ان يطبق القواعد على الامثلة والشواهد . فان لم يكف الموجود من هذه فاضف اليها ماتراه ملائماً حسب الحاجة . والمرجح عندى ان التلميذ اذا فهم الاحكام والضوابط النحوية حق الفهم وطبقها على ما امامه من الأمثلة والشواهد بعد ان يفهم معناها اجمالا ومعنى مفرداتها مفصلا، فتلك الشواهد والامثله ترسخ فى ذهنه وتصبح من بعض محفوظاته ايضاً. فان لم تصبح من محفوظاته فأشير عليك أيها الأخ الاستاذ ان تطالبه بحفظ معظمها إن لم يكن كلها فان هذا الحفظ من قبيل تعلم اللغة امر مقصود بالذات يتعلم له الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وكل علم يتعلق بفصاحة وبلاغة ،بل حتي علم المنطق قد يتعلم واسطة ليتوصل بذلك الى اتقان تعلم اللغة وفهم مغازى الكلام ومراميه فتأمل . »

« اذا فهم تلاميذك أو معظمهم ايها الاخ الاستاذ مايقرؤون من الخواطر العراب حق الفهم فلا تطالبهم حالا ان يمتد بهم الفهم الى حيث هو ممتد بك ولا ان يسرعوا فى احضار مافهموه مع الاصابة التى ترضاها كما تسرع انت ،فان ذلك (اى سرعة الاحضار مع الاجابة وامتداد الفهم) متوقف أما على شدة ذكاء التلميذ او على كثرة المراجعة واعمال الروية ،وهيهات ان تجد دائما تلميذاً سريع الفطنة شديد الذكاء اذا مر به شيء انطبع على لوح ذاكرته وفهمه كما تنطبع صور المرئيات على الواح التصوير الشمسى الحساسة ثم لايعود يمحى من هناك فانك إذا طلبت ان يكون كل تلامذتك على شاكلة من وصفنا فقد طلبت شيئا يكاد يكون مستحيلا . فاقنع اذن من اغلبهم ان يفهموا ابتداء ماتفهمهم اياه وكل أمر الأحضار مع السرعة والاصابة وامتداد الفهم ،إلى الايام وكثرة المراجعة . ولا يسؤك ماتراه كثيراً من تباطىء البعض وغفلة الكثيرين عما ترى التباطؤ فيه تقصيراً والغفلة عنه ذنباً، واذكر انا لم نكن منذ بضع سنين نفهم ما نفهه الآن ولا نحضر مانحضره بالسرعة التى نطلبها من تلامذتنا الآن . »

. قلت ان الخواطر العراب موضوع للفهم اكثر مما هو للحفظ ،و أزيدانه منظور فيه إلى تنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة و من بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لامستعصية عليه مستبدة به وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم إن لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه العقل،فهي مما لا يعتد بها وحسبي من الاخ الاستاذ ان ينشىء تلامذته على الفهم فى النحو كما ينشئهم على حفظ مفردات اللغة وشواهدها البليغة وان يصلح عن طريق العقل والنقل كل مايحتاج إلى الاصلاح فى الخواطر العراب وإذا تفضل إلى مطالعتى بما يراه محتاجاً الى الاصلاح أو التعديل ، كنت بغاية المنة والشكر لتفضله واختم بتقديم الشكر الجزيل لصديقى الاستاذ الفاضل داود افندى قربان على كثير من الملاحظات والاصلاحات والتعديلات التى اشار اليها فى اثناء وقوفه على المسودات المقدمة للطبع كما انى اشكر الاستاذ نجيب افندى نصار على ملاحظته مسودات هذه الطبعة. والحمد لله اولا وآخراً اللهم اجعل كل اعمالنا خالصة لوجهك الكريم وقنا شر انفسنا وارحنا برحمتك انك ارحم الراحمين وخير المسؤلين آمين . »

٦ — العدل الآلهى

واين اثره فى المخلوقات

تأليف الاستاذ حسن حسين يقع فى ٨٨ صفحة من القطع الكبير مطبوع فى مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسنا وعلى ورق جيد

بدأ المقدمة بهذه الكلمات :

(١) « ما كل مايعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله » الامام على

(٢) « ليس فى العالم شيء هو خير بذاته ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع . وقد ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة » ارسطو

(٣) « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » قرآن كريم

يهتم الاستاذ حسن حسين بالبحث فى الغيبيات ، بل وفى اكثر مباحث الغيبيات. التواء وتعسراً على الفهم . فمسألة العدل الآلهى والبحث عن اثره فى المخلوقات من تلك الابحاث التى يجد فيها لذة ويكب عليها كل اكباب .

ولقد بحث كثيرا فى مسألة الأرواح ونقل مذهب يوجا الهندى وهو مذهب قائم على الروحانيات الصرفة ، وليس للعمليات بالمعنى العلمى فيه اقل اثر . بل كل ما فيه من العمليات تمرينات رياضية يعتقد اصحاب المذهب أنها مفيدة فى تزكية الروح مؤدية بها الى الخلاص من سجن البدن الكثيف .

وتتجلى هذه النزعة فى مؤلف العدل الآلهى فى برهانه الذى يقيمه على وجود الله . فانه ينزع الى برهان اهل الباطن ، وذلك البرهان الذى لا يمكن أن يقتنع به الا الشخص الذى يتجلى له هذا البرهان فى أخذة من الاخذات النفسية التى يعتقد اهل الباطن انها من البراهين التى لا تنقض . ولكنه على اية حال برهان لا يمكن أن يقتنع به احد من طريق التدليل لانه لا دليل عليه الا دعوى صاحبه . قال فى ص ٤ ، ٥ ما يلى :

« والحق أننا بحاجة الى حاسة أخرى (غير الحواس الخمس التى هى عماد العلم بالضرورة) ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ روحنا درجة النقاء من غواشى المادة وما علق بها من خلق وصفات مكتسبة »

« نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية فى الله جل شأنه ! — من مقدمة برهان وجود — واجب الوجود — مطلقا ، ويجب أن تكون هذه الصفات القدسية او الكمالات ! ! ! — محور الدائرة فى كل دين من الاديان »!!!!!

أما النتيجة التى يصل اليها فى اثبات وجود الله فهي مايلى :

« اندمج فى حسك وآنس الى نفسك ، بعيداً عن كل ضوضاء أو خيلاء ، فى وحدة وسكون — هنا لك وانت منسجم مستسلم — تشعر بميل غريزى يجتذبك نحو الحق — وتحس بانه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل أو برهنة »

وهذا ولا شك دليل أهل الباطن. بل يعترف المؤلف أنه ليس بدليل ولا برهان بل تجربة دينية يقتنع بها مجربها اقتناعاً شخصياً بل تراه بعيداً عن طريقة البرهنة اتبعها ديكارت والادلة التي أقامها « بيتى كروزيار » المعروف. ذلك لان الاول ينهج طريق المنطق ، والثانى طريق التدليل بالسببية.

فاذا رجعت الى الابحاث النفسية الحديثة لتعرف ما هذا « الانسجام والاستسلام » من قيمة فى اقامة دليل يمكن ان يكون له أثر فى اثبات وجود الله أو شيء من الغيبيات، وقرأت الفصول القيمة الخالدة التى عقدها الاستاذ الكبير « وليم جيمس » فى كتابه Varieties of Relijious Experience فهنا لك تعرف أن قيام الحالات النفسية التى يباشرها أهل الباطن كلها حالات غير طبيعية بل هى عبارة عن أعمال جسمانية تحدث حالات نفسية يخيل لمباشريها أنها حق بل أنها الحق ، وهى لدى البحث النفسى الدقيق ليست سوى حالة نفسية ناشئة عن نظام جسمانى

اما الامثال التى ضربها (ص ٥) فى أن الكون دليل على وجود الله كقوله إن الساعة المضبوطة فى صحراء اذا عثر عليها عابر سبيل تكون عنده دليلا على وجود صانع لها حكيم مدبر ، فامثال تقود الباحث الى القول بان الله ليس أكثر من فرض ضرورى. وهذا ما قال به « كروزيار » ولا جرم ان هذا بعيد كل البعد عن ان يقبله رجل من أهل الباطن الذى يلجأ المؤلف الى برهانهم فى وجود الله .

ومما يدلك على ان المؤلف ينزع الى براهين أهل المنطق أكثر من نزوعه الى برهان أهل الباطن ، وأنه لم يقل ببرهان أهل الباطن الا استسلاماً للفكرة الاصلية التي أراد أن يبثها فى تضاعيف الكتاب ،انه عاد فى (ص ٢٢) فعقد فصلا قصيراً تحت عنوان « فكرة وجود الله » . فكان الله فى هذا الفصل ليس أكثر من « فكرة » قد يكون لها حقيقة وقد لا يكون لها حقيقة البتة . شأن كل فكرة من الفكرات الأنسانية قال : —

« نقول : ان المقبول عقلا والمألوف المعروف انه لابد لكل معلول من علة ولكل مسبب من سبب. انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها — تكون بمقدار عظمة وقوة وأهمية المعلول — ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة — فما كان عدم ظهور العلة بمانع لوجودها ولا حائل دون فعلها وأثرها » — وهذا الكلام لا يكون صحيحاً إلا بعد أن يثبت المؤلف ببرهان قاطع أن العالم معلول أولا ! وهذا مالم يفعل المؤلف بل فرض أن العالم معلول لاغير ،مستنداً الى فكرة فى وجود الله التى يتمثلها العقل الانسانى من نظره من آثار الطبيعة

و لذلك كان موقف المؤلف ازاء العلة ، أو بالاحرى « علة العلل » فانه لم يحاول نفى هذا الاشكال الكبير ولم يبحث فى ماهية العلة . فاذا كان الله علة كاملة لايتخلف عنها معلولها ، وجب ان يوجد المعلول مع العلة وان يشاركها فى صفة القدم . فى حين أن من شروط المعلول ان يكون حادثا والا شارك العلة فى كل صفاتها حتما . وهنا تختلط العلة والمعلول اختلاطاً لايمكن الفصل بين أطرافه . وكذلك لم يبحث مشكلة الحدوث فان العالم اذا كان حادثاً ثبت أن علته كانت ناقصة (يتخلف عنها معلولها) ثم كملت فلما . كملت وجد العالم لزاماً لوجود علته عند تمام كمالها

ولقد رأينا الاستاذ المؤلف يشير الى اعتقاده بحقيقة الطوفان العام اعتقاداً يلزم صاحبه الاعتراف بان الطوفان قد عم كل الأرض واهلك كل المخلوقات . وهذا ما نقضته الابحاث الجيولوجية الحديثة نقضا تاماً صريحاً

وعلى جملة من القول فان الكتاب جدير بأن يقرأه كل باحث يريد أن يستوغل فى مثل هذه الابحاث القصية العميقة

* * *

٧ ـ اللؤلؤ المنضود

فى دفع نقود

بقلم الشيخ أمين ظاهر خير الله نشره السيد الياس روفائيل الكك أخرجته مطبعة الاجتهاد ببيروت — ١٩٢٩ — فى ١٥٢ ص من القطع الاوسط على ورق جيد وطبع أنيق

صدر الكتاب بالبيتين الآتيين

أن الحقيقة بنت البحث ما برحت مناظرات رجال العلم تبديها
فالمبتناة على التحقيق تثبتها والمبتناة عـــلى البطلان تنفيها

والكتاب مجموعة نقود فى النحو والاعراب لها فائدتها الجلى لكل المشتغلين بعلوم اللغة والآداب ، وليس لنا ان نعرف الكتاب باكثر من فاتحته التى قام فيها المؤلف « كتب علوم العربية ضربان : الاول ماوضع للتلقين . فيورد الحقائق التى انتهي الى تقريرها العلماء بعد جهد جهيد ، ومعظمه يأتى بالأدلة لترسيخ القواعد والتمثيل

منها،والثانى ماوضع للمناظرة فى تلك الحقائق فيأتى بالادلة متضاربة ليثبت الحق و يزهق الباطل،ففائدته اجزل ومركبه عسير ،

« وكتابى هذا من الضرب الثانى بذلت جهدى فى أن أدوّن به الحقائق مؤيدة بالبينات وتصفحت اثناء جمعه كثيراً من المؤلفات النفسية فعزوت كل قول الى قائله وعينت موضع وروده ليسهل على من شاء أن يتصفحه الاطلاع عليه .ولا ريب فى ان المباحث التى محصتها المناظرة يثق مطالعها بانه يأخذ أحكامها عن ذى خبرة. والله أرجون أن يكون كتابى هذا نافعاً لمطالعيه فان » :

« مناظرة العلماء مغاص فمن غاص فيه يحوز اللآل »

« براهينها الراهنات كفلن بنيان حق ونقض محال »

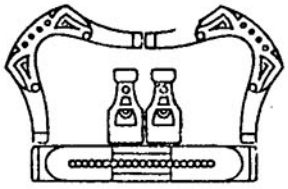

رابطة الأدب الجديد

بالقاهرة

أغراضُ الرابطة بَث رُوح التعاون والاخاء الأدبى ونشر الثقافة الحديثة ، وتوَجَّه المراسلات عنها الى حضرة سكرتيرها الأستاذ كامل كيلانى بدار « العصور » بشارع الخليج المصرى بالظاهر بالقاهرة .